مُصْطَلَحُ المُوَاطَنَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّة
المَفَاهِيمُ وَالسِّمَاتُ وَالمَبَادِئُ

Citizenship
in the Islamic Traditions
Concept, Features and Principles

أ.د. خَدِيجَة زَبَار الحَمَدَانِي

جامعة بغداد . كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

م.د. مُحَمَّد ضِيَاءُ الدِّين خَلِيل

كلية الإمام الأعظم الجامعة

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Khadeeja Z. AL-Hamadani
Department of Arabic
College of Education for Girls
Baghdad University

Lacturer. Dr. Muhammad D. Eldeen
Department of Arabic
College of the Great Imam University

ملخص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد...

فإنَّ مفهوم المواطنة لدى الشعوب والدول بات في حالة غموض وتخبط نتيجة التحولات الجذرية التي تشهدها مفاهيم الفكر السياسي والاجتماعي في المجتمعات المحلية والدولية كافة. فمن يتابع الواقع السياسي والاجتماعي لكل دولة يجد أنَّ كثيراً من الدول ومواطنيها، تتعدد لديهم مفاهيم المواطنة تبعاً للتيارات السياسية النافذة فيها، سواء تلك التي بيدها مقاليد الحكم أم المعارضة لها، حتى أصبحت المواطنة بالنسبة لبعضهم هي الانتماء للطائفة أو المذهب أو الانتماء للحزب الفلاني أو التيار السياسي الفلاني، وهكذا، وما عدا ذلك يكون خارج مفهوم المواطنة، بل أكثر من ذلك يصبح ممنوعاً من حقوق جَمَّةٍ لتصبح حكراً على مدعي المواطنة مِمَّن لا يمتُّ إليها بصلة. وإنَّ الشريعة الإسلامية الغرّاء بصلاحيتها لكل زمان ومكان وبمعالجتها القضايا في مختلف المجالات، جاءتْ لتقرر مفهوم المواطنة الذي يعيش تحت سقفه الجميع من كُلِّ الملل والنحل، وتؤكد أنَّ الإسلام دين للعالمين جميعاً، يمكن تحت ظل دولته أنْ يعيش الناس في مواطنةٍ يعتزون بها، أساسها العدل والأمن والاحترام المتبادل بين جميع المواطنين.

وقد أتهم بعض الكُتَّابِ والمثقفين في الغرب أو حتى من بعض الكُتَّابِ العلمانيين في بعض الدول العربية الإسلام بأنَّه أغفل مفهوم المواطنة في الدول التي أقامها، وكان فيها تمايز بين سكانها المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، إذ حددت مفهومي المواطنة والهوية على أساس الانتماء للدين الإسلامي فقط، وهم بذلك يتغافلون أو يُغَيِّبُون حقائق التأريخ التي تدحض هذا الادعاء، وتؤكد بطلانه، بل هي تشير إلى أنَّ البناء الأول للدولة الإسلامية حين كانت في طورها الجنيني، قد أسس على مفهوم المواطنة بتحديد هوية الانتماء للدولة لجميع رعيتها وذلك بتحديد الحقوق والواجبات.

فَمَنْ يراجع الوثائق التاريخية التي تتحدث عن تأسيس الدولة الإسلامية بعد انتقال الرسولﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في العام الأول للهجرة، سيجد مفهوم المواطنة قد أُرسي في المنطلقات الأساسية للدولة الإسلامية، فالمدقق في مضمون الصحيفة التي وضعها الرسولﷺ والتي هي أول دستور في الإسلام، سيجد فيها مبدأ المواطنة من طريق هوية الانتماء. والصحيفة التي تعد في نظر المؤرخين والباحثين والقانونيين من أهم وثائق التأريخ العربي الإسلامي، باعتبارها أولى أشكال التنظيم السياسي والإداري والاجتماعي للدولة التي أرست مفهوم المواطنة لرعايا الدولة دون النظر إلى الانتماء الديني والقبلي، وطرحت شعار المساواة في التكاليف الدنيوية تجاه الدولة لجميع رعاياها، ومن المعروف أنَّ المساواة هي أولى مقدمات المواطنة المؤسسة على الحرية والديمقراطية في العرف الإنساني المعاصر.

وقد جاء بحثنا هذا ليؤكد هذه القضية ويثبت أسبقية الإسلام على بقية التشريعات والقوانين في إرساء مفهوم المواطنة مؤكدين جملة أهداف نسعى للوصول إليها في هذا البحث التي هي: تحديد مفهوم المواطنة في الإسلام، والكشف

عن سمات المواطن الفاعل في الإسلام، والكشف عن أهم المبادئ التي توجه علاقة المواطن المسلم بمن حوله. ولأجل الوصول إلى هذه الأهداف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة، هي:

المبحث الأول: وقد جاء بعنوان ((المواطنة في الشريعة الإسلامية)) مفاهيم ودلالات، وقد تناولنا في هذا المبحث بيان معنى: الوطن، والوطنية، والمواطن من الناحية اللغوية، ومن وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: وقد جاء بعنوان ((سمات المواطن الفاعل كما بينها الإسلام)) وقد تناولنا في هذا المبحث أهم السمات التي يجب أن يكون عليها المواطن المسلم بالاستناد إلى نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسولﷺ وهذه السمات منها: الإيمانية، والأخلاقية، والاجتماعية ...الخ.

المبحث الثالث: وقد جاء بعنوان:((المبادئ التي توجه علاقة المسلم بمن حوله)) وقد تناولنا في هذا المبحث أهم المبادئ والأسس التي يجب أن يراعيها المواطن المسلم في علاقته بالآخرين، ومن هذه المبادئ: الولاء والبراء، والعدل، والمساواة .ونرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه، وأن يفيد منها الباحثون، مثلما أفاد البحث من غيره.

ABSTRACT

The concept of citizenship among peoples and nations is in the case of ambiguity and confusion as a result of the radical changes taking place in the concepts of political and social thought in the local and international communities . It follows the political and social reality of each country and finds that many states and citizens are numerous , they have the concepts of citizenship, depending on the current political viewpoints applied .The study reviews the historical documents that talk about the establishment of an Islamic state after migration of the Prophet Mohammed (May Allah bless him and his family) from Mecca to Medina in the first year of Hegira . So the paper runs into three axes withy conclusion.

المبحث الأول

المواطنة في الشريعة الإسلامية
((مفاهيم ودلالات))

حب الوطن شعور فطري، لم ينكره الإسلام وقد روي أنَّ عبد الله بن أمِّ مكتوم قال وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ عام الفتح: «يا حبذا مكة من وادي، أرض بها أهلي وعوادي، أرض تغرس أوتادي، أرض أمشي بها بلادي»[1].

ولَمَّا قدم أصيل الغفاري على رسول الله ﷺ من مكة قبل أن يُضْرَب الحجاب على أزواج رسول الله ﷺ قالت عائشة: «كيف تركت مكة؟»، قال: «اخضرّت أجنابها وابيضت بطحاؤها وأغدق أذخرها وانتشر سلمها»، فقال رسول الله ﷺ: ((**حسبك يا أصيل لا تحزنّا**)) وفي رواية أخرى، قال ﷺ: ((**يا أصيل دع القلوب تقر**))[2]، وعبر عن حب الوطن والارتباط الوجداني به قوله ﷺ لَمَّا هَمَّ بالخروج من مكة: ((**ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**))[3]، وروي أنَّ رسول الله ﷺ نظر ذات مرة إلى جبل أحد، فقال: ((**أُحد جبل يحبنا ونحبه**))[4]. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ هذه العاطفة النبوية تجاه أُحد، تمثل في ذاتها قيمة معنوية، فأُحد شهد معركة ضارية مع المشركين ودفن حوله حمزة عم الرسول ﷺ ومصعب بن عمير وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فالوطن لا يُحَبُّ لذاته وإنَّما لكونه وسيلة لمرضاة الله بإقامة الدين فوق أرضه، وأمَّا إذا كان الدين غريباً في أرض ما، كان التعلُّق بهذا الوطن مجرد كونه وطناً مظهراً

من مظاهر الوثنية والعصبية. ومِمَّا يدلل على الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان أنَّ القرآن الكريم عَدَّ إخراج الإنسان من دياره معادلاً للقتل الذي يخرجه من دار الأحياء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ (النساء ٦٦).

وأشار القرآن الكريم إلى الإخراج من الأرض وسيلة عقاب وزجر للمفسدين فيها، مما يدلل بوضوح على موقع الوطن وأهميته بالنسبة للإنسان وأنَّ الإخراج منه أمر ثقيل على النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة ٣٣)، ولتحديد مفهوم المواطنة في الشريعة الإسلامية كان لابُدَّ من عرض المصطلحات المتعلقة به والتي تقودنا بدورها إلى بيان المصطلح على النحو الآتي:

١) مفهوم الوطن

الوطن لغة: محل الإنسان، وأوطن الأرض ووطّنها واستوطنها، أي: اتخذها وطناً، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد، والموطن المشهد من مشاهد الحرب[٥]. ومن الملحوظ أنَّ كلمة الوطن لم ترد في القرآن الكريم باستثناء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (التوبة ٢٥).

وأمَّا في السُّنَّة النبوية فقد ذكر الوطن والديار والبلاد، في قوله ﷺ: ((**وطني وداري**))[٦]، وقوله: ((**يرجع إلى بلادهم وأوطانهم**))[٧]، وإذا كانت كلمة الوطن

بالتحديد، لم ترد في القرآن الكريم، فقد وردت كلمة الديار وهي مرادفة لها في مواضع عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ (العنكبوت ٣٧). قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنا بِهِ وَبِدارِهِ الأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (القصص ٨١). قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ﴾ (الحشر ٢). قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ (الأحزاب ٢٧). وعند تأمل الآيات السابقة، يتضح أنَّ الدار التي ترادف معنى الوطن عبارة عن وعاء يستوعب حركة ساكنيه وتفاعلهم وحسبما يكون سلوكهم في أوطانهم يكون واقعهم في الحياة، فالدار ترتبط بخصائص أهلها ، فهي إمَّا دار مؤمنين أو دار فاسقين وبناءً عليه يكون التمكين في الأرض والديار للمؤمنين.

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ الوطن في حقيقته يمثل البيئة المادية والمعنوية على سواء، ويتعلق المواطن بهاتين البيئتين ويتفاعل معهما في حياته، ومن طريق هذا التفاعل يكتسب كيانه الجسمي والروحي والثقافي، فالبيئة المادية قد لا تتغير عبر العصور والعهود إلَّا قليلاً، لكن الذي يتغير هو الوطن المعنوي المتمثل في قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وأساليب تعامل أفراده مع بعضهم، ومن شأن هذا التغيير أن يغير من تجاوب المواطن مع وطنه ومن شعوره بالسعادة أو الضيق، فقد يستبد الحكام وتنتهك الحريات ويسود الظلم فيضطر الأحرار والمثقفون إلى أن يهجروا أوطانهم لا هرباً من الوطن المادي، ولكن فراراً من البيئة المعنوية التي أصبحت لا تطاق[٨].

٢) مفهوم الوطنية

اختلف الباحثون والدارسون والكُتَّاب في نظرتهم للوطنية، تبعاً لاختلاف مدارسهم واتجاهاتهم الفكرية، فهناك من رأى أنَّها مجرد «حب للوطن والشعور بارتباط باطني نحوه وهي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن»[٩]. وعُرِّفَتِ الوطنية كذلك «بأنَّها عبارة عن مشاعر وروابط فطرية تنمو بالاكتساب لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه»[١٠]. وذهب بعضهم إلى أنَّ مفهوم الوطنية ليس مجرد ارتباط بين مجموعة من البشر بأرض محددة، وإنما هي ولاءٌ وانتماءٌ من كل هؤلاء الذين يعيشون على هذه الأرض[١١].

وتعني الوطنية بالمفهوم الضيق المتشدد «أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له ، أيًّا كانت أجناسهم التي انحدروا منها، أي: الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس»[١٢]. ويتناقض هذا المفهوم مع عقيدة الإسلام التي تقتضي أن يكون الولاء خالصاً لله عزَّ وجلَّ كما جاء في التوجيه القرآني للمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (المائدة ٥٥)، ومن الطبيعي أنَّ هذا النوع من الولاء الأعمى للأرض، يؤدي في الغالب بصاحبه إلى الانحسار والتقوقع وفقدان مقومات الفعالية والمشاركة في صنع المجتمع والحضارة الإنسانية، فضلاً عن كونه شكلاً من أشكال العصبية الجاهلية المنافية للدين. ويقدم بعض الباحثين، مفهوماً عملياً للوطنية، إذ يعدها نوعاً من الارتباط بين الذات والوطن والانفتاح على الآخر وحدودية الاندماج فيه، ثم الدفاع عن المصلحة الذاتية داخل العالمية والمصلحة الخاصة داخل العمومية، فالوطنية بمفهومها الواسع تشكل إطاراً للقيم الإنسانية وليست جداراً يسجن ولا حاجزاً لنفي، إنما هي معبر للالتقاء بالإنسانية كلها[١٣].

وعَرَّف سليمان الحقيل الوطنية بأنَّها: «تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة التي تشده إليه، وذكر أنَّه لا يوجد تعارض بين الوطنية والانتماء إلى أُمَّةِ الإسلام، ذلك أنَّ حبَّ الوطن لا يناقض حب المسلمين أينما كانوا بل يكون متمماً له»(١٤).

وينتقد البنا الوطنية التي تقسم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن يكيد بعضها لبعض وتتبع المناهج الوضعية التي أملتها الأهواء وشكلتها الأغراض والمصالح الشخصية، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتهاولا للناس، ويوازن بين وطنية الإسلام والوطنية الصنمية الجاهلة بقوله: «أمَّا وجه الخلاف بيننا وبينهم، فهو أنَّنَا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول لا إله إلَّا الله محمد رسول الله وطنيٌّ عندنا، له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحسُّ بإحساسهم»، فالوطنية ليست مجرد ارتباط بقطعة أرض أو عشيرة أوقرابة دم أو راية قوم وإنَّما هي راية الإسلام التي نعيش من أجلها ونجاهد في سبيل إعلائها(١٥).

وفي ضوء ما تقدم ذكره، يمكن تعريف الوطنية من منظور إسلامي بأنَّها: «نوع من التعلق بالوطن الذي يعيش فيه المسلم، أيًّا كان موقعه الجغرافي وإضمار الحب والولاء لساكنيه من المؤمنين العاملين من أجل إقامة دين الله في الأرض مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم»(١٦). وبالإجمال يمكن التعاطي مع مصطلح الوطنية وليس بالضرورة أن يكون مناقضاً للإسلام في كل الأحوال طالما أنَّ فهمنا له ينطلق من الأصول الإسلامية.

٣) مفهوم المواطنة

لا يتصور وجود الوطن بدون مواطنين، يعيشون فيه معاً، فالمواطنون هم فئات الشعب على اختلافمستوياتهم الثقافية والاجتماعية يجمعهم وطن واحد له حدوده الجغرافية والسياسية وتاريخه ونضاله المشترك وقوانينه التي تنظم العلاقات بين هؤلاء المواطنين[١٧]. وكلمة المواطن تعني الإنسان مضافاً إليه مدلول من دلالات الوطن ليس الأرض بما فيها من موارد فحسب، وإنَّما الوطن في أوسع معانيه والذي يمنح المنتمي إليه الإقامة والحماية والانتماء والعمل والاستقرار وغير ذلك من الحقوق التي يتيحها الوطن للمواطن[١٨].

وأمَّا لفظة المواطنة فتوحي بالتفاعل بين الذين ينتمون إلى الوطن فيأخذون منه ما يعطي من حقوق ويمنحونه ما يتطلب من واجبات[١٩]. وقد ذهب بعض الباحثين إلى قصر مفهوم المواطنة على البلد الواحد الذي يعيش فيه الفرد وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية[٢٠]. وذهب كذلك الدكتور عمر محمد التومي إلى أنَّ المواطنة لا تعدو كونها «تعبيراً عن التعلق والارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكوّن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه»[٢١].

وفي مقابل هذا الاتجاه في فهم المواطنة هناك من ينظر إليها بصورة أكثر شمولية، تتعدى حدود علاقة المواطن بوطنه الذي يقطن فيه ويرتبط بآخرين يشاركونه في الوطن المحلي إلى الوطن العالمي الإنساني، فالمواطنة الصالحة يقصد بها إيجاد روح حب الوطن أو المجتمع مع اختلاف تركيبته والقيم التي توجد فيه إذ يندرج حب

الوطن مع حبه لمدينته الصغيرة فدولته فمجتمعه الكبير العالمي[٢٢]. فمن استقراء التعريفات السابقة للمواطنة، نرى أنَّها: عملية تفاعلية بين الأفراد في المجتمع الواحد، تمتد إلى المجتمع العالمي الإنساني، وتقوم على روابط ثقافية تجذر الولاء للوطن، وتشجع على التعاون بين أفراده.

ونلاحظ عند تتبع آيات القرآن الكريم، أنَّه استخدم مصطلح القوم بمعنى الجماعة القائمة بأمرها والتي يكون فيه الفرد عضواً فيها، وهي تعيش على أرض ما عبَّر عنها بالديار كما سبق الإشارة في معرض حديثنا عن مفهوم الوطنية، وقد سجل القرآن الكريم حوارات عديدة بين أبناء الوطن الواحد نذكر منها على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿وَقالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ﴾ (الأعراف ١٢٧)، وقال تعالى: ﴿وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر ٤١)، وقال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ٥٤)، وقال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام ﴿وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ﴾ (هود ٦٤)، وقال تعالى في حق نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ١٦)، وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة ٦٠)، وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ (غافر ٣٨)، وقال

تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة ٢٢)، وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١٣).

وعند تأمل الآيات السابقة، يتضح لنا ما يأتي:

١. العلاقة بين أبناء الوطن الواحد، قائمة على التعاون والتناصح وحب الخير للآخرين وكل سلوك يرضي الله عزَّ وجلَّ.

٢. ترتكز هذه العلاقة على قاعدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين والفاسقين.

٣. لوحظ في القرآن الكريم كله، أنَّ خطاب الرسول ﷺ لم يوجه لقوم بعينهم كما أنَّه لم ينسب نفسه إلى قوم ما فيقول: قومي، وإنَّما كان موجهاً للناس جميعاً كما بين القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الحج ٤٩)، فلم يكن النبي محمد ﷺ لينسخ باطلاً بباطل ويبدل عدواناً بعدوان، ولم يبعث زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً يخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان، وإنَّما أرسل إلى الناس كافة ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن هنا لم يكن خطابه لأمَّة دون أمة ووطن دون آخر، ولكن كان موجهاً للنفس البشرية وللضمير الإنساني وكانت أمته العربية لانحطاطها وبؤسها أحقُّ من يبدأ به مهمته الإصلاحية[٢٣].

وبناءً على ما تقدم يمكن القول: إنَّ مفهوم المواطنة في الإسلام، يتجاوز علاقة المواطن بوطنه مسقط رأسه فقط إلى المجتمع الإنساني كله، فالمواطنة عبارة عن

مستويات ودوائر متعددة من العلاقات، تبدأ من علاقة المواطن المُسلم بمجتمعه المحلي مروراً بالمجتمع العربي الإسلامي، انتهاءً بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقات حيث امتدت أنبتت حقوقاً وواجبات وتفاعلات محكومة بضوابط شرعية.

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة تعريف دقيق وجامع للمواطنة في الإسلام بأنَّها: «صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء، وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله»[٢٤].

وقد يعتقد بعضهم أنَّ هذا المفهوم (المواطنة) هو حديث عهد ولا معرفة للعرب، والمسلمين به، ولكن إن كان حديث عهد فإنَّ مدلولاته وآثاره قديمة، وللعرب وللمسلمين أصول متجذرة في ذلك، فالعرب قديماً اقتربوا من مفهوم المواطنة وذلك في زمن دولة سبأ، إذ عرفت سبأ ومعين قدراً من المشاركة السياسية، فسبأ عرفت التمثيل النيابي محل شيوخ القبائل[٢٥].

كما أنَّه عندما كان الإسلام على وشك البزوغ، قام في مكة حلف الفضول الذي كان يتدخل لنصرة المظلوم، سواء أكان من أهل مكة، أم من زوارها، وهذا دليل على أنَّ الحلف لم يكن ليفرق بين هذا وذاك، بل لينصف المظلوم ويعطيه حقّه أيًّا كان ما دام يقطن الوطن (مكة)[٢٦].

ورسول الله ﷺ يعطي دروساً في حب الأوطان فقد ورد عن ابن عدي أنَّ النبي ﷺ خرج من مكة حتى إذا بمكان قد سمّاه قال: ((**والله إنَّك لخير أرض الله وأحبُّه إلى الله تعالى، ولولا أني كنت أُخْرِجْتُ منك ما خرجت**))[٢٧].

وقرب المسلمون الأوائل أيضاً من مفهوم المواطنة كما كان معروفاً قبل الإسلام، وكان ذلك بفضل ما يحمله الإسلام من منظور إنساني للوحدة الإنسانية، والمساواة في الحقوق والواجبات(٢٨).

ويقول الكواري إنَّ الإسلام قدّم مفهوماً شاملاً لا يقصي منه أحداً لا بسبب اختلاف الملة، أو الدين أو النوع أو العرق، وبرغم التنوع أو التعددية التي يكون عليها البشر إلَّا أنَّ الانتماء للأمة واحد، فالإسلام نظر نظرة شاملة للوحدة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات والقربى، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء ١)، وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣).

وقد انطلق الإسلام في نظرته للمساواة من أنَّ الناس في نظر الإسلام إخوان ومتعاونون على الخير وفعله ولكل دينه الذي يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى جانب المساواة كانت مبادئ العدل، والقسط، والإنصاف من المبادئ الجوهرية التي أكدها الإسلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠). فـ «المواطنة من المنظور الإسلامي هي مجموعة العلاقات والروابط والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام وكل من يقطن هذه الدار سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين»(٢٩). ويشير محجوب إلى «أنَّ الإسلام وضع أول وثيقة عالمية في حق المواطنة دون تفريق بين أصحاب الأديان، أو العقائد، أو الاختلاف في اللون أو الجنسية، وأنَّ الإسلام سبق العالم في الإعلان عن أول وثيقة لحقوق الإنسان، في

بداية بناء أول دولة إسلامية في المدينة المنورة، قدَّمها الإسلام كأول دستور من دساتير الأرض، وأروع نموذج للوحدة الوطنية والإخاء الإنساني، فأعلن أنَّ أهل المدينة جميعاً إخوة تجمعهم رابطة الوطنية، المسلمون، واليهود، والمسيحيون يشكلون أمة واحدة تجمعهم الروابط الأخوية والروح الوطنية، فكل له دينه في إطار الوحدة الوطنية، وهم جميعاً مسؤولون عن الدفاع عن وطنهم في إطار من الوحدة»[٣٠].

ويؤكد خالد الحروب «أنَّ المواطنة لا توجد بالسليقة والطبع، ولا تحدث قَدَراً واعتباطاً ولا تمنح منحاً من مصدر خارجي، بل تكتسب اكتساباً شأن قيم الحياة الأخرى وبمقدارما يبذله أبناء المجتمع من أجلها، وبمبلغ إقبالهم على التضحية بمصالحهم، وبولاءاتهم الأخرى في سبيل ولائهم الوطني المشترك، وكلما كان هذا الإقبال أقوى وأفعل، كانت الحياة الوطنية أصحَّ وأسلم، ومعنى الوطن والمواطنة أصفى وأتم وأكمل»[٣١]، هذا القول يدلل على أنَّ الإسلام هو من أسس لهذه المواطنة، وهو من أصَّل لها حيث عزَّز الأخلاق التي تحكم المجتمع، وتسعى لرقيه، وارتقائه، وهو الأقدر على تسييس أمور المجتمع ومعرفة مصالح أبنائه وإنصافهم جميعاً.

مما سبق يتبين أنَّ معظم الباحثين قد قصروا مفهوم المواطنة على الوطن الذي يعيشون فيه بينما الإسلام جسد، وبين المعنى الحقيقي للمواطنة، وذلك عندما تحدث عن شموليتها واتساعها لتشمل العالم بأسره حينما قال المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧)، فلم يقصرها على بلد واحد، أو قارة واحدة، أو حتى عالم واحد، بل عالمين يشمل الإنس والجن والكائنات الأخرى، فما أعظمه من دين وما أعظم شموليته.

المبحث الثاني

سمات المواطن الفاعل في الإسلام

إنَّ مجرد ولادة أي شخص في وطن ما ونشأته بين سكانه وحمله لجنسيته لا يكفي لجعل ذلك الشخص مواطناً صالحاً، بل إنَّ المواطنة الصالحة تقتضي أن يتحلى المواطن بمجموعة من الصفات التي تجعله منتجاً فعّالاً صالحاً لخدمة وطنه في حدود إمكاناته وقدراته الخاصة [٣٢].

ويقصد بفعالية المواطن هنا ((سلوكه المعبر عن المبادرة الذاتية وحب العمل والحرص على المشاركة والتفاعل مع الآخرين)) وتنبثق فعالية المواطن المسلم، من شعوره بأنَّه مخلوق مكرم وأنَّه مستعمر في هذه الأرض بأمر الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود ٦١). وتتولد هذه الفعالية عن الإيمان بالبعث والحساب حيث جاء الربط بين سعي الإنسان الحثيث للعمل في الدنيا وملاقاة الله عزَّ وجلَّ في الآخرة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق ٦)، وباستقراء الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع المواطنة وما يعززها في الحديث الشريف، توصلنا إلى جملة من السمات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١) سمات إيمانية

فالإيمان أساس الاستقامة وهو منبع الفعالية بالنسبة للمواطن المسلم، يوجه سلوكه ويحرك همته ويقوي عزيمته على حمل الأمانة والقيام بالواجبات تجاه الآخرين، ومن أبرز السمات الإيمانية للمواطن:

١. الغضب لانتهاك حرمات الله جلَّ وعلا كما في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ (طه ٨٦).

٢. تفويض الأمر لله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه، كما جاء على لسان النبي نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامِي وَتَذْكِيرِي بِآياتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾ (يونس ٧١).

٢) سمات أخلاقية

١. **الأمانة:** وقد بدا ذلك واضحاً من قصة نبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص ٢٣-٢٦)، وجاء في تفسير الآية ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾، «قال لهما أبوهما وما

علمك بذلك، قالت له: إنَّه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلَّا عشرة رجال وإنِّي لَمَّا جئت معه تقدمتُ أمامه فقال لي: كوني من ورائي فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي به»[٣٣]. إنَّ امتلاك المواطن لصفة الأمانة مع القوة أدعى إلى أنجاز العمل المطلوب على أفضل وجه، حيث إنَّ «القوة والقدرة على ما ستؤجر عليه والأمانة فيه، وصفان ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً بإجارة أو غيرها فإنَّ الخلل لا يكون إلَّا بفقدهما أو فقدان أحدهما وأمَّا باجتماعهما فإنَّ العمل يتم ويكمل»[٣٤].

٢. **الاستقامة وتجنب الفساد**: حذر الإسلام من الإفساد في الأرض عملاً بالتوجيه القرآني: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف ٥٦)، ونهى كذلك عن ارتكاب الجرائم الأخلاقية وعلى رأسها قتل النفس كما جاء في الكتاب المبين: ﴿مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة ٣٢)، والإفساد في الأرض لا يكون بارتكاب الحرمات في حقِّ الناس فحسب، وإنما يكون كذلك في كل الممارسات السلوكية التي تضر بالبيئة من إسراف في الموارد أو تلويث للبيئة.

٣. **الطهارة والعفة**: ونلمس ذلك من دعوة نبي الله لوط إلى قومه إلى الطهارة ونبذ السلوك الشاذ المتناقض مع الفطرة الإنسانية قال تعالى: ﴿وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود ٧٨).

٤. **القناعة والرضا بالقليل**: ويعرض القرآن نموذجاً للقناعة في الحوار الدائر بين الفريقين من قوم قارون، فريق تطلع إلى متاع الحياة الدنيا وتمنى أن يكون له مثل ما أوتي قارون وفريق آخر زاهد في الحياة الدنيا متطلع إلى ثواب الله عزَّ وجلَّ قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً وَلا يُلَقَّاها إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ (القصص ٧٩-٨٠). ويلفت الرسول المربي ﷺ انتباهنا إلى المقياس الحقيقي للغنى، ألا وهو غنى النفس وليس كثرة المال والمتاع كما جاء في قوله ﷺ: ((**ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس**))[٣٥].

٥. **الكرم والإيثار**: وقد تجسدت هذه السمة الرائعة في المهاجرين السابقين في الإيمان إذ جاء في محكم التنزيل: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر ٩). وتروي كتب السيرة أنَّه لمَّا آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، قام سعد بن الربيع فعرض على عبد الرحمن بن عوف أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمة متساوية، ولكنَّ عبد الرحمن شكره وطلب منه أن يرشده إلى سوق المدينة ليشتغل فيها، ولم يكن هذا شأن سعد بن الربيع منفرداً فيما عرضه على أخيه، بل كان شأن عامة الصحابة وتعاونهم بعضهم مع بعض[٣٦].

٦. **سعة الصدر والحلم**: لمَّا دعا نبي الله هودu قومه إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ، تجاوزوا حد الأدب معه، فحلم عليهم وتحمل أذاهم وفضاضتهم لسعة صدره كما بيّن القرآن الكريم: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ

غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ * قالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ * قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف ٦٥-٦٨).

٧. **الشجاعة في قول الحق**: من سمات المواطن الفاعل، الشجاعة في قول الحق لاسيَّما أمام الجائرين والمتسلطين وأولي النفوذ، وقد ضرب القرآن الكريم مثالاً يقتدى به في ممارسة هذا السلوك الأخلاقي إذ جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر ٢٨).

ولَمَّا راح الطاغية يمنُّ على نبي الله موسى عليه السلام واجهه بالحقيقة وقال كلمة الحق دون أي اعتبار لموقعه وسلطانه قال تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ * قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ * قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ * قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء ١٨-٢٤).

٣) سمات وجدانية انفعالية

يمكن تلخيص هذه السمات بما يأتي:

١. **حب الخير للآخرين والإشفاق عليهم**: ونجد ذلك في سلوك نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي راح يدعو بالخير لبلده كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾ (ابراهيم ٣٥). فالمواطن

الصالح مشفق على أهل بلده ووطنه يتمنى لهم الهداية والنجاة من العذاب، وعبر عن ذلك قوله سبحانه وتعالى على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ (غافر ٣٠-٣١).

٢. **المبادرة إلى نقد الذات وتقويمها**: فهي سمة ضرورية لإصلاح النفس وتخليصها من الأسباب المعيقة للحركة داخل المجتمع، ومن المشاهد القرآنية الدالة على هذه السمة ما حدث بين نبي الله موسى عليه السلام والرجل الذي استنجد به من قومه وشيعته: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص ١٥-١٧). وجاء في تفسير هذه الآيات: أنَّ موسى عليه السلام لم يقصد القضاء على الرجل بوكزه إياه فلما رآه جثة هامدة بين يديه استرجع وندم على فعلته وعزاها إلى الشيطان وغوايته ثم استطرد يعترف بظلمه لنفسه أنْ حمَّلها هذا الوزر ثم أخذ بعد ذلك عهداً على نفسه أمام الله ألَّا يقف في صف المجرمين ظهيراً ومعيناً[٣٧].

وفي ضوء ما سبق ينبغي أن يكتسب المواطن المهارات الخاصة بإدارة الذات وتقويمها ليعدل من سلوكه بما ينسجم مع أوامر الشرع ونواهيه.

٤) سمات اجتماعية

وهي سمات تعبر عن الروح الاجتماعية العالية والاستعداد للاندماج والتفاعل مع الآخرين، ويمكن إجمال أبرزها على النحو الآتي:

١. **مخالطة الناس وتحمل أذاهم**: جاء في التوجيه النبوي الشريف: ((**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**))[٣٨]. فالمخالطة لازمة لاكتساب الخبرات وتنمية الشخصية الاجتماعية وتعديل سلوك الفرد وفيها شيء من السلوى والأنس، وقد حذر الرسولﷺ من المقاطعة والتهاجر بين الأخوة في المجتمع الواحد بقوله: ((**لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذاوخيرهما الذي يبدأ بالسلام**))[٣٩].

٢. **التعاون مع الآخرين**: حثَّ الله سبحانه وتعالى عباده على التعاون في مجال الخير بقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلائِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ (المائدة ٢)، وبيّن الرسولﷺ لنا بعض مجالات التعاون بقوله: ((**تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليه متاعه صدقة**))[٤٠]، وحينما يسود الاختلاف في وجهات النظر بين أبناء الوطن الواحد فلا ينبغي أن يكون سبباً لترك التعاون والعمل المشترك من أجل المصلحة العامة، ولا ينبغي بأيِّ حال من الأحوال أن تكون أمثال هذه الخلافات حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير.

٣. **الحرص على المصلحة العامة:** جاء في الحديث الشريف ((**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**))[٤١]، وقد ضرب نبي الله يوسف عليه السلام مثلاً يحتذى به في الحرص على مصلحة الآخرين، حينما طلبَ من العزيز أن يوليه على خزائن الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٥)، إذ جاء في تفسير الآية أنَّ يوسف عليه السلام سأل العمل لعلمه وقدرته عليه، ولِمَا فيه من المصالح للناس وليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأرشد، ويجوز للرجل أن يمدح نفسه في مثل هذه المواقف، إذا جُهِل أمره للحاجة[٤٢]. وبناءً عليه فإنَّ المواطن الصالح لا يسعى إلى تحقيق رغباته وطموحاته وأمانيه على حساب المصلحة العامة وبما يضر بالآخرين، كحال من يحتكر السلعة ليحقق المكاسب المادية أو يتحايل على القوانين والنظم ليحقق مآربه الخاصة، أو يقدم المصلحة الحزبية الضيقة على مصلحة الوطن، وتقتضي مراعاة المصلحة العامة من الإنسان أحياناً أن يضحي بأغلى ما يملك وهذا ما فعله أبو بكر الصديق في غزوة تبوك إذ جاء بكل ماله، وجاء عمر بنصف ماله، إذ روى الترمذي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً فقلت اليوم أسبق أبابكر، إن سبقته يوماً قال:فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك قلت:مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبابكر ما أبقيت لأهلك، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت:لا أسبقه إلى شيء أبداً»[٤٣].

٤. **حب العمل والحرص على إتقانه:** حثَّ الإسلام على العمل واعتبره من المقومات الأساسية للحياة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٠٥)، وحذر الرسول ﷺ من التسول والبطالة بقوله: ((ما

يزال الرجل يسأل الناس حتى يـــــأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)) (٤٤). وقد حثَّ المولى سبحانه وتعالى عباده على إعمار الأرض مبيناً ارتباطهم العضوي بها، فقال تعالى: ﴿وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود ٦١)، وحثَّ الإسلام كذلك على إتقان العمل، كما جـاء في التوجيه النبوي الشريف: ((**إنَّ الله يحب العامل إذا عمل أن يحسن**))(٤٥).

٥) سمات عقلية

١. **حسن المنطق وحضور الحجة**: وندرك ذلك بوضوح في بعض الحوارات الدائرة بين أهل الوطن الواحد، إذ جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام ﴿وَيا قَوْمِ ما لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر ٤١).

٢. **الانفتاح الذهني والمرونة العقلية**: كان ممَّا نعى القرآن الكريم على اليهود والنصارى أنَّ كُلّاً منهما لزم موقفاً متزمتاً تجاه الآخر، إذ رفض مجرد النظر فيما عنده من خيرات، ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَقالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة ١١٣)، وعبر عن سلوك الانفتاح الذهني في قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٦٤)، فالانفتاح الذهني حالة من التفاعل الفكري، تتجسد في الاستماع

للآخرين والنظر فيما لديهم ومحاورتهم وتفهم سنة الاختلاف بين الناس بعيداً عن التعصب والانغلاق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِلْعالِمِينَ﴾ (الروم ٢٢).

هذه مجمل السمات التي استنبطت من آيات القرآن الكريم، وهي سمات أكدتها الشريعة الإسلامية لأجل بناء شخصية المواطن الصالح الفعّال في مجتمعه.

المبحث الثالث

المبادئ التي توجه علاقة المسلم بمن حوله

يعد هذا البحث من المباحث المهمة لتناوله الروابط والعلاقات التي تربط المواطنين بعضهم ببعضٍ سعياً لتحقيق ازدهار ورقي المجتمع وتمسكه واتحاده، فعن أبي نَضْرَةَ قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، فقال: ((**يا أيّها الناس ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى، أبلّغْتُ؟**)) قالوا: بلغ رسول الله ﷺ[٤٦]. وعليه فإنَّ على المسلم أن يبني علاقاته بمن حوله على هذا الأساس، ومع ذلك فهناك مجموعة من المبادئ التي تضبط هذه العلاقة وتسيرها وفق المنهج الصحيح، ومن هذه المبادئ، ما يأتي:

١. الولاء والبراء

الولاء في اللغة: مصدر المَوْلى والولاء:القوم إذا كانوا يداً واحدة[٤٧]، وأمَّا في الاصطلاح: فالولاية هي النصرة والمحبة والاحترام[٤٨]، قال تعالى: ﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة ٢٥٧)، والبراء هو: «بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله، من الأصنام المادية والمعنوية كالأهواء، وبُغْض الكفر لجميع مللة، واتباعه ومعاداة ذلك كُلِّه، فركنا

الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء»[٤٩]. مما سبق يظهر أنَّ الولاء والبراء مرتبطان بالإيمان، ولهما أدلة من الكتاب والسنة يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٧١)، وعن جرير بن عبد الله، قال: أتيت رسول الله ﷺ أبايعه فقلت هاتِ يدك واشترط عليَّ وأنت أعلم بالشرط فقال: ((**أبايعك على أنلا تشرك بالله شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم، وتفارق المشرك**))[٥٠].

لقد جاء الدين الإسلامي بفيصل التفرقة بين الحق والباطل وبين الإسلام والجاهلية فلم يجعل التقاء الناس على أساس العرق أو اللون، أو الجنس أو التراب، كما تفعل الجاهليات القديمة والحديثة على سواء، بل جعل التقاء الناس على العقيدة في الله، وجعل المفاضلة بينهم بالعمل الصالح، فالولاء بين أبناء الوطن الواحد إنما يكون بين المؤمنين أصحاب العقيدة الواحدة ممَّن يعملون لتحقيق غاية واحدة، وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً رائعاً في البراء من الكفار والمشركين حتى وإن كانوا من أبناء الوطن الواحد كما تبيّن من خلال قوله تعالى: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْراهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإِلَيْكَ أَنَبْنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة ٤). وقد أشار الدكتور محمود خليل «إلى عدم تعارض الانتماء للإسلام مع الانتماء للوطن، وإذا ما اتفقت دوائر الانتماء في فكر الإنسان وتكاملت في ممارساته الحياتية، فلن يكون هناك تناقض، بل إنَّ الأمر في علاقة الانتماء الإسلامي بالانتماء الوطني، يتعدى حدود نفي التناقض إلى دائرة الاندماج

والارتباط فالإسلام منهاج شامل، وإقامته كدين لا تتم إلَّا في أرض وواقع ووطن يتجسد فيه، ومن ثَمّ أصبح الانتماء الوطني بُعْداً من أبعاد الانتماء للإسلام فالوطن ضروري ليكون إسلامياً وتتحقق إسلامية عمرانه، فالانتماء الوطني درجة من درجات سُلّم انتماء المسلم للإسلام»[٥١].

٢. محاربة العصبية الجاهلية

إنَّ الإسلام أرسى قيماً مثلت انقلابا جذرياً على مفاهيم العصر الجاهلي الذي كانت تسوده العصبيات، فحارب تلك العصبيات، وكثيراً من الأعراف التي كانت جزءاً من شرائع الغاب كونها جرّدت الفرد من إنسانيته وحتى من أحاسيسه، فجسَّد العقيدة والإيمان في المجتمع، فتلاشت كل تلك العصبيات، ولا أدلّ على ذلك من المهاجرين والأنصار الذين تلاشت من بينهم عصبية القبيلة، وعصبية الجنس، وعصبية الأرض، فعن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول: كُنَّا في غَزَاةٍ، قال سفيان يرون أنَّها غزوة بني المصطلق، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال المهاجري ياللمهاجرين، وقال الأنصاري ياللأنصار، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: **ما بال دعوى الجاهلية**، قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: **دعوها فإنَّها منتنة**...[٥٢]، وعن جبير بن المطعم أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس مِنَّا من مات على عصبية**))[٥٣].

وعليه لم يعد وطن المسلم هو الأرض إنَّما هو دار الإسلام وجنسيته التي يعرف بها ليست جنسية عشيرته التي يأوي إليهاويدافع عنها ورايته التي يعتز بها ويستشهد تحتها ليست راية قوم، فعصبية العشيرة والقبيلة والقوم والجنس واللون والأرض،

عصبية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي، والأمة التي يكون فيها أبو بكر العربي، وعلي القريشي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، التي تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع، الجنسية فيها العقيدة، والوطن فيها دار الإسلام، والحاكم فيها هو الله، والدستور فيها هو القرآن، هي الأمة المتماسكة القوية[٥٤]. هذه هي المواطنة في أبهى صورها وأرفعها، التي رسمها الإسلام من خلال المبادئ والقيم والعلاقات التي تضبط السلوك، والمستمدة من العقيدة، وهذا هو الذي ينبغي أن يسيطر على فكر أبناء الوطن الواحد وسلوكهم؛ لأنَّ العصبية لا تعني إلَّا العبودية والهلاك فكم من حروب أهلكت الحرث والنسل بسبب العصبية. لذلك نرى أنَّ من الأمور التي تضعف مفهوم المواطنة، وتقلل من كفاءته بين أبناء الوطن الواحد، هو التعصب لأمر ما للصالح الخاص، دون الصالح العام، وهذا ما حذَّر منه الإسلام أشد التحذير ونهى عنه للحفاظ على كيان المجتمع وتماسكه.

٣. العدل والمساواة بين أبناء الوطن الواحد

العدل قاعدة إسلامية يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء ٥٨)، ونلاحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يقل:وإذا حكمتم بين المسلمين، لأنَّ العدالة شاملة للجميع، وعليه فلا يمكن لأيِّ كيان ناشئ أن يكتب له الاستمرار مادام يفتقر للعدل والمساواة بين ابنائه، فالحكومات الباحثة عن الاستقرار والسيادة والارتقاء بأبنائها، لابُدَّ لها أن تؤسس للعدل والمساواة بين أبنائها. ويرى الزهراني «أنَّ الإنسان يحتاج إلى العدل في شتى جوانب حياته فهو يتعامل مع أفراد مختلفين لا تجمعه بهم صلة أو قرابة، أو معرفة، فإذا كان شعار أفراد المجتمع العدل، فإنَّه سيعيش وهو مطمئن؛ لأنَّه لن يظلم وسيأخذ كل حقوقه

ومطالبه دون عناء مهما كانت منزلته»[٥٥]. والمواطنة بحسب الفكر الإسلامي تستند إلى مبررات إنسانية قوامها روح العدل والمساواة بين الأفراد والأمم والشعوب وتنطلق من وحي الإيمان بالله الواحد، وهذا ما قرره رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**ما من أمير عَشَرَة إلَّا جاء يوم القيامة مغلولاً، فإمَّا أن يَفُكَّه العدلُ أو يُوبِقَه الجور**))[٥٦].وأمَّا المساواة فيمكن القول بأنَّها: ((**تماثل كامل أمام القانون، وتكافؤ كامل، إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع**))[٥٧].

وللمساواة مظهران أساسيان:

١. **المظهر الأول**: المساواة أمام القضاء، وهو ما يسمى بالعدل، وينبغي أن يكون مطلقاً لا يتأثر بالمحبة والبغضاء ولا بالمال والجاه والحكّام، قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة ٨).

٢. **المظهر الثاني**: المساواة في التوظيف، والعمل وغيرهما من الفرص، للجميع بلا تمييز، ولا تراعى فيها إلَّا الكفاءاتوالمؤهلات اللازمة، والمساواة تمتاز بقيمتها المعنوية، فضلاً عن قيمتها المادية، إذ تترك أثراً إيجابياً في نفوس المواطنين، فيشعرون بالاطمئنان ولا يخافون على أرزاقهم. فإذا تجسد العدل وفق الشريعة الإسلامية تجسدت المواطنة الحقة التي تعطي كل مواطن حقّه وتلزمه بواجبه دون ظلم أو إجحاف.

٤. ستر عيوب الناس وعدم إشاعة الفاحشة

الستر نوعان: ستر حسي، وستر معنوي.

أمَّا الستر المعنوي: فهو أن تجد المسلم قد اقترف الذنب، أو ارتكب الفاحشة فلا تفضحه، بل تنهاه عن معصيته وتلين له في النصيحة وتستر عليه فلا تبوح بخطيئته، ولا تعرّيه من ستر الله عليه. والعجب كل العجب ممن يتربصون بأبناء الوطن الواحد لأيِّ فاحشة تقع، أو منكر يحصل، لا يخبرون الجهة المسؤولة عن ذلك فتنكره بالوسائل الشرعية، بل ليطيرون بخبره بين الناس إنَّها شهوة نقل الخبر التي عمّت وطمت من غير سلوك لوسائل النقل الصحيحة من التثبت والتأكد والستر والأدب، فأين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور ١٩).

وأمَّا الستر الحسي: فهو أن تحسن إلى عارٍ من الثياب فتكسوه عن أعين الناس، وهذا هو هدي النبي محمدr ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**))[٥٨]. فالستر خلق جميل تجود به النفوس الكبيرة التي تنزَّه أرواحها من أن تملأَ مجالسها بالكلام في أعراض الناس، وترفع أقلامها أن تسطِّر أخطاءهم وتطهر أسماعها أن تصغي لعوراتهم. هذا هو الإسلام، وهذه تعاليمه التي تحافظ على تماسك أبناء المجتمع وترابطهم فيغدو مجتمعاً مثالياً، وإن تعددت فيه الألوان والأطياف.

٥. الكلمة الطيبة والقول الحسن

لقد أودع الله تعالى في الكلمة أسراراً وتأثيراً، وهيأَ لها القبول في نفوس البشر، فهي ذات فعلٍ عظيم وخطير، قد يبلغ حد السحر، إذ تصور الحقَّ باطلاً والباطل حقّاً، ومن هنا فإنَّ تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وهديه وتوجيهاته التربوية توجب على اتباعه أن يراقبوا الله تعالى في كل قول أو عمل أو نية وأن يكونوا

وقّافين عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لله رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ (الأنعام ١٦٢). ولهذا فقد حثَّ الإسلام على التزام الإنسان المسلم في قوله على وجه الخصوص بالهدي الرشيد والقول السديد الذي قال تعالى فيه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ (الأحزاب ٧٠)، وحذر الإسلام من سيء القول وفاحش الكلام تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ (النساء ١٤٨)، وقد أكدت السنة النبوية ضرورة صدق وطيبة الكلمات الخارجة من الفم، لعظيم شأنها فهي إمّا أن تكون شمساً تضيء أو ناراً تحرق، أو مصدر هواية أو غواية، أو أداة هدم بناء، أو ينبوع سعادة أو شقاء، أو نذير حرب أو بشير سلام، أو ريح إيمان أو وسوسة شيطان أو دعوة فضيلة أو إغراء برذيلة[٥٩]، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((**الكلمة الطيبة صدقة**))[٦٠].

وأكدَّ الرسول ﷺ على أنَّ أساس التحاب هو الكلمة الطيبة، وللكلمة الطيبة الأثر الفاعل والكبير على المتكلم أولاً وعلى المستمعين ثانياً، فالكلمة ترفع مقام صاحبها تارة، وتحط من شأنه تارة أخرى، فلا بُدَّ لمن يتحلى بالأخلاق الإسلامية ويحرص على وطنه وأبناء وطنه أيّا كان موقعه ومكانته، أن تكون كلماته مجمّعةً وبانية لامشتِّتة وهادمة.

٦. الرحمة والرفق بالناس

لكي تصل البشرية إلى وحدتها فتكون أمة واحدة، وإلى تواصلها فتكون أسرة واحدة، أمر الله جَلّت حكمته بحسن الأدب، ولين القول وجميل الفعال، ويبين لنا القرآن الكريم أنَّ الرسول r في تعامله مع الآخرين، كان سبباً في تجميع القلوب وتوحيد الصفوف، قال تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

﴿الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران ١٥٩).

فالآية الكريمة تشير إلى الرحمة التي ألقاها الله في قلب رسوله، وتثني على أخلاقه السامية وقيادته الحكيمة، فعلى الرغم من عدم اتفاق أصحابه معه في بعض المواقف إلَّا أنَّه وسعهم بخلقه الكريم، وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالقسوة والشدة، بل باللين والرحمة، ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته وتوحدت تحت قيادته[٦١]. فإنَّ أسمى معاني المواطنة تتجسد في الرحمة بين أبناء الوطن الواحد، لأنَّ التراحم بين الناس يشد بعضهم إلى بعض، ويخلق بيتهم جواً من الألفة والترابط، ويزرع في أعماقهم غيرة على المصلحة العامة، مِمَّا يجعلهم أهلاً للمشورة وإبداء الرأي في سياسة الأمة بهدف الوصول إلى الحل السديد.

٧. التعارف والأخوة بين الناس

إنَّ التعارف ضرورة من ضرورات التعامل بين الناس، فالجار يحتاج إلى جاره ولا يمكن أن يتعامل معه إلَّا إذا تعارف، وكل واحد من الناس قد يحتاج إلى غيره، فكيف يتعامل معه بدون تعارف بينهما؟ لذلك جعله الإسلام قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية[٦٢]، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣). والأخوة هي رابطة لها توابع وحقوق، حق في المال، والنفس، وفي اللسان، والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف، وهذا أصّل له الإسلام، فالإخاء الإسلامي هو الأصل الأصيل في بناء دولة الإسلام، وقيام الأمة الإسلامية، ولقد كان العرب قبل الإسلام على شفا حفرة

من النار متناحرينمتحاربين، من أجل ناقة، فنزلت الآيات، قيل لهم:تحابوا فتحابوا، وقيل لهم:تآخوا فتآخوا، ثم قيل لهم:انفروا، فهبوا خفافاً وثقالاً، لقد تنزلت عليهم الآيات فقالوا: سمعنا وأطعنا، فإذا بالفرقاء والمتناحرين قد أصبحوا دولة، ولذا نجد أنَّ رسول الله ﷺ قد بدأ في البناءالأخوي الكامل، ليقيم دولة الإسلام على أساس سليم، وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقالفيما بلغنا: ((**تآخوا أخوين أخوين**))(٦٣).

٨. التكافل الاجتماعي

يعد التكافل الاجتماعي من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع في الإسلام والتي تضمن سعادته، وبقاءه في إطار من المودة والوحدة والسلام، ولقد حثَّ القرآن الكريم على التكافل في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات ١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٧١).

فالتكافل الاجتماعي: «أن يتضامن ابناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم أكانوا أفراداً أو جماعات، حكّاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الاحتكار، بدافع من شعور وجداني عميق يتبع أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل، ودفع الضرر عن أفراده»(٦٤).

والتكافل الاجتماعي في الرؤية الإسلامية ليس مجرد تفضّل من الأغنياء على الفقراء، ولا هو مجرد إحسان، وإنَّما هو نظام للحقوق الاجتماعية يرتقي إلى درجة الفرائض الإلهية، والواجبات الشرعية والتكاليف الدينية التي قررها الإسلام عامة، لعامة الناس في الثروات والأموال، ولقد أسس الإسلام هذا التكافل والتضامن الاجتماعي على فلسفته المتميزة والفريدة، وهي فلسفة تميزت من سائر الفلسفات الوضعية سواء الرأسمالية أو الشيوعية، ولقد قامت هذه الفلسفة الإسلامية على عدة مبادئ منها:

١. إنَّ الأموال والثروات هي ملك لله تعالى وسخرها للناس كافة فهم مستخلفون فيها، ملكيتهم لها مجازية واجتماعية.

٢. إن الفروق في حيازة هذه الثروات أمر طبيعي، وذلك بسبب تفاوتهم في الكفاءات والاحتياجات.

٣. إنَّ أسمى معاني التكافل تتمثل في حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**))[٦٥]، تلك هي فلسفة الإسلام في التكافل، والقائمة على نظرية الاستخلاف والمتميزة من الفلسفات الوضعية سواء الرأسمالية أو الشيوعية، إذ إنَّ التكافل الاجتماعي لا يتوقف على جانب المادة فقط بل تمتد مظلته لتشمل جوانب كثيرة ومتعددة مثل المشورة والنصيحة والود والمشاركة في الأفراح والمواساة في الأحزان، وغيرها.

ومن هنا فلا بُدَّ لكل فرد من أفراد المجتمع أن يسعى لتكوين دور إيجابي ومؤثر في المجتمع، فيعمل على حل مشكلات مجتمعه المزمنة، مثل الفقر، والبطالة، وغيرها، التي تحتاج إلى التكافل من أجل القضاء عليها أو الحد منها.

... النتائج ...

وقد توصل البحث إلى نتائج يمكن أن نذكرها على النحو الآتي:

١. المبادئ العامة للمواطنة الحديثة (الحرية، والمساواة، والمشاركة) موجودة بنسقها العام في الإسلام، وحقوق المواطنة في القرآن تكتسب شرعيتها من كون الله سبحانه هو مقرر الحقوق، وأنَّ حقوق الناس هي حقوق الله، والتنازل عنها إثم، و ما شرع الجهاد في الإسلام إلَّا لأجل حمايتها، وتتعمق هذه الشرعية بكون الإنسان في الإسلام خليفة الله في الأرض.

٢. أكدت وثيقة المدينة أنَّ الأخوة الدينية لا تتعارض مع الأخوة الوطنية كما أنَّها طبقت مبدأ التعايش السلمي طريقاً للمواطنة المتساوية، في حين أكدت خطبة الوداع إلغاء الفوارق النوعية والتمييزات السلالية والتفاضلات العقدية.

٣. إنَّ مفهوم المواطنة في الإسلام هي صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي منجهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله.

٤. إنَّ ولادة شخص ما في وطن ونشأته بين سكانه وحمله لجنسيته لا يكفي لجعل ذلك الشخص مواطناً صالحاً بل إنَّ المواطنة الصالحة تقتضي أن يتحلى المواطن بمجموعة من الصفات التي تجعله منتجاً فعّالاً صالحاً لخدمة وطنه في حدود إمكاناته وقدراته الخاصة.

٥. المواطنة في حقيقتها تقوم على أساس نظام متكامل من الحقوق والواجبات التي تقوم على العلاقة بين الفرد ومجتمعه الذي يعيش فيه.

٦. لا مواطنة بدون مواطن مشارك في التطور السياسي ومشارك في النماء الاقتصادي وفاعل في كلِّ شؤون الحياة.

---

١. حياة الصحابة: ١/ ٣٦٨.
٢. فتح الباري: ١/ ٢٤٤.
٣. رواه الترمذي في سننه: ٥/ ٧٢٣.
٤. رواه البخاري في صحيحه: ١/ ٢٤٤.
٥. ينظر: لسان العرب ١٣/ ٥٥٧ ٥٥٨، مادة(وطن).
٦. رواه أبو داود في سننه: ٣/ ١٧٧.
٧. رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٣٧٥.
٨. ينظر: من أسس التربية الإسلامية:٣٧.
٩. ينظر:حول القومية العربية: ٩.
١٠. ينظر: الإسلام والأمن الاجتماعي: ١٩٣.
١١. ينظر:تربية المواطنة من منظور إسلامي:٢٤٨.
١٢. معالم في الطريق:٥٥٤.
١٣. ينظر: مفهوم الوطنية:٥٦.
١٤. الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام: ٣٠.
١٥. ينظر:مجموعة الرسائل: ٢٠-٢١.
١٦. تربية المواطنة من منظور إسلامي: ٢٤٩.
١٧. ينظر: من أُسس التربية الإسلامية: ٣٧.
١٨. مفهوم الوطنية: ٥٩.
١٩. ينظر:المصدر نفسه: ٦١.
٢٠. ينظر:معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية: ٩٨.
٢١. من أسس التربية الإسلامية: ٣٤.
٢٢. ينظر:مفهوم الوطنية:١٦٠.

٢٣. ينظر: نحو تربية إسلامية حرة: ١١٨ – ١١٩.
٢٤. دراسات في التربية النوعية: ١٤٢.
٢٥. ينظر:مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية:١٠٩.
٢٦. ينظر:السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي:١١٢ – ١١٣.
٢٧. رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٠٥.
٢٨. ينظر: التعليم والتغيير: ٢٠.
٢٩. تربية المواطنة:١٢.
٣٠. مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي: ٤٩.
٣١. مبدأ المواطنة: ١٣٠.
٣٢. ينظر: تربية المواطنة من منظور إسلامي: ٢٥٢.
٣٣. تفسير ابن كثير: ٣/ ١١.
٣٤. تفسير السعدي: ٦١٤.
٣٥. رواه البخاري في صحيحه: ٥/ ٣٦٨.
٣٦. فقه السيرة: ١٤٩.
٣٧. في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٨٢.
٣٨. رواه ابن ماجه في سننه: ٢/ ١٣٣٨.
٣٩. رواه البخاري في صحيحه: ٥/ ٢٢٥٦.
٤٠. رواه مسلم في صحيحه: ١/ ٢٩٩.
٤١. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢/ ١٠٦.
٤٢. تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٥٤.
٤٣. رواه الترمذي في سننه: ٥/ ٦١٤.
٤٤. رواه البخاري في صحيحه: ٢/ ٥٣٦.
٤٥. رواه البيهقي في سننه: ٤/ ٣٣٥.
٤٦. رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٨/ ٤٧٤.
٤٧. المحيط في اللغة:٢/ ٤٦٨.
٤٨. التعريفات: ٣٥٠ – ٣٥١.
٤٩. الولاء والبراء بين السماحة والغلو:٤ ٥.
٥٠. رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤/ ٣٦٥.
٥١. دراسات في التربية النوعية: ١٦٠.

٥٢. رواه أبو داود في سننه: ٤/ ٤٩٤.
٥٣. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٥٤. ينظر: معالم في الطريق:٩١.
٥٥. ينظر:مفهوم العدل في الإسلام، مقال منشور في:.http://forum.5aa5.com/179.html
٥٦. رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٤٣١.
٥٧. الإسلام والأمن الاجتماعي: ٩٥.
٥٨. رواه ابن ماجه في سننه: ٤/ ١٦٠.
٥٩. ينظر: أمانة الكلمة عند المبدع المسلم: ٤٥.
٦٠. رواه الإمام أحمد في مسنده: ١٣/ ٤٧٢.
٦١. ينظر: أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية: ١٧.
٦٢. ينظر المدخل إلى القيم الإسلامية: ١٦.
٦٣. السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٣٥١.
٦٤. التكافل الاجتماعي في الإسلام: ١٥.
٦٥. رواه مسلم في صحيحه: ٨/ ٢٠.

المصادر والمراجع

١. أدب المعاملة وأثره في بناء العلاقات الإنسانية: عودة عبد عودة، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين، ٢٠٠٤م.
٢. الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة مصر، ١٩٩٨م.
٣. أمانة الكلمة عند المبدع المسلم: صالح بن علي أبو عرَّاد، عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين في أبها:السعودية، مكتبة صيد الفوائد، شبكة المعلومات الدولية.
٤. تربية المواطنة (الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة) فهد إبراهيم الحبيب، اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥م.
٥. تربية المواطنة من منظور إسلامي: د.محمود خليل أبو دف، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، بمصر، أبريل، ٢٠٠٤م.
٦. التعريفات:علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) تحقيق وزيادة: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط٢، دار النفائس، بيروت، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٧. التعليم والتغيير: سعد أحمد يوسف، مجلة أحوال مصرية، السنة الثالثة، العدد العاشر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة ٢٠٠٠م.
٨. تفسير ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة مصر.
٩. تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٠. التكافل الاجتماعي في الإسلام:عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة مصر.
١١. حول القومية العربية:ساطع الحصري، سلسلة التراث القومي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
١٢. حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٣. دراسات في التربية النوعية: د. محمد خليل أبو دف، وسليمان المزين، مكتبة آفاق، غزة، فلسطين ٢٠٠٦م.
١٤. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.
١٥. سنن أبي داود: لأبي داوُد السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٦. سنن البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٣م.
١٧. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٩٠ م.
١٨. السيرة النبوية:أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١٩. السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣هـ)، ط٢، تحقيق: مجموعة من المحققين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
٢٠. صحيح البخاري: للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢١. صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٩٨٣.
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، ودار الفكر سوريا.
٢٣. فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطي، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
٢٤. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر.
٢٥. لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٢٦. مبدأ المواطنة (مدخل نظري): بارعة النقشبندي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد (٣٠) العدد(٢).
٢٧. مجموعة الرسائل: للإمام حسن البنا، دار التوزيع للطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٩٩٢ م.
٢٨. المحيط في اللغة: للصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٩٤م.
٢٩. المدخل إلى القيم الإسلامية:جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية، القاهرة مصر، دار الكتاب المصري، بيروت لبنان ١٩٨٤م.
٣٠. مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، مصر ١٩٩٥م.
٣١. مشاكل الشباب والحلول المقترحة والحل الإسلامي: عباس محجوب، كتاب الأمة، قطر.
٣٢. معالم في الطريق:سيد قطب، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر ١٩٦٤م.

٣٣. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
٣٤. معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية: أحمد زكي بدوي، ط١، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٨٧م.
٣٥. مفهوم العدل في الإسلام: الزهراني، مقال منشور في شبكة المعلومات الدولية، http://forum.5aa5.com/179.html
٣٦. مفهوم المواطنة في الدول الديمقراطية: علي خليفة الكواري مقال مطبوع ضمن (المواطنة والديمقراطية في الدول العربية)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
٣٧. مفهوم الوطنية: عبد الكريم غلاب، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨م.
٣٨. من أسس التربية الإسلامية: عمر محمد التومي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا ١٩٩١م.
٣٩. نحو تربية إسلامية حرة: محمد الحسني ندوي، دار القلم، دمشق، سوريا ١٩٩١م.
٤٠. الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام: سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، ط٣، سلسلة كتب التربية الوطنية في السعودية ١٩٩٦م.
٤١. الولاء والبراء بين السماحة والغلو: د. حاتم بن عارف الشريف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة.